اللسانيات الجغرافية وأثرها في توجيه دلالة الكلمات القرآنية

الجودي مرداسي
جامعة الحاج لخضر. باتنة (الجزائر)

الملخص:

تتناول هذه الدراسة اللسانيات الجغرافية وأثرها في توجيه دلالة الكلمات القرآنية، فتناقش مسألة اللسانيات الجغرافية من حيث المصطلح وتحديد المفهوم، وكذا البيئة اللسانية ولغة القرآن الكريم. كما تناقش الشعر ودوره في فتح مغاليق الكلمات القرآنية، ودلالة هذه الكلمات وتنوعها، انطلاقا من اللغات والمجتمعات المعبر عنها في القرآن الكريم، فيخلص إلي مدى تأثير البيئة والعامل الجغرافي على معنى ودلالة هذه الكلمات.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، اللسانيات الجغرافية، القران الكريم.

Abstract:

The aim of this article is to study the impact of geographical linguistics and its orientation of semantics of the Holy Quranic Words. It discusses, On the one hand, the terms and determines the concepts of geographical linguistics. On other hands, attempts to show the role of Arabic poem in explaining the semantics (closed) words of the Holy Quran. In addition, it tries to find the relations between such semantically words and deferent mentioned (expressed) communities in the Holy Quran. Finally, this study concludes that there is a very strong relation between social and geographical environments and semantical words of the Holy Quran.

Résumé:

Cet article étudie la linguistique géographique et son impact sur l'orientation de la signification des mots coraniques. La question de la linguistique géographique, est abordée à partir de l'étude du terme et la détermination du concept, ainsi que l'environnement linguistique et la langue du Coran. Cette étude traite également, le rôle de la poésie dans la compréhension des mots coraniques et leurs diversités significatives à partir des langues et communautés citées dans le coran. La finalité est d'éclaircir l'influence de l'environnement et le facteur géographique sur la signification et le sens de ces mots.

Les mots clés : linguistique, sémantique, Coran.

مقدمة:

اللسانيات الجغرافية أو جغرافيا اللسانيات, أو كما يسميها البعض اللغويات الجغرافية, فرع من الفروع اللسانية الأخرى, كاللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية (أو علم النفس اللساني);أي فرع من فروع اللسانيات التطبيقية, أو ما يعرف ب 'علم اللغة التطبيقي" والذي يتناول شتى فروع المعرفة منها:علم اللغة الاجتماعي، علم اللغة النفسي، علم اللغة الجغرافي، علم اللغة الإعلامي, علم اللغة السياسي، علم اللغة الآلي، علم اللغة الطبي، علم اللغة العسكري، علم اللغة التعليمي، علم اللغة والترجمة، علم اللغة الأنثروبولوجي...الخ.[1]

واللسانيات الجغرافية واحدة من العلوم اللغوية الحديثة التي تعني بدراسة اللغة في إطارها اللساني الجغرافي, ولا يخفى على المختص في اللغة العربية، أن اللهجات التي تنطوي تحت اللغة العربية، ماهي إلا انعكاس حقيقي للتنوع البيئي والقبلي في الجزيرة العربية، وما تمثله تلك اللهجات من ظواهر لغوية وصفات تختص بها دون سواها،كما تدرس اللسانيات الحديثة التغير الدلالي أو التطور الدلالي، وهي محاولة لتقعيد التغيرات التي تحدث للمعنى مع مرور الزمن انطلاقا من البيئة اللسانية والعامل الجغرافي في تحديد دلالات الكلمة القرآنية, كما لاحظت عند علمائنا المشتغلين بالدراسات اللهجية نقصا من ناحية الدلالة، حيث درس علم الدين الجندي–مثلا– في كتابه: اللهجات العربية في التراث, في قسميه الأول والثاني ناحية الأصوات والصرف والنحو, وأهمل الجانب الدلالي، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لاستشراف بابا حادثا من أبواب اللسانيات ألا وهو اللسانيات الجغرافية.

وقد بنيت هذه الدراسة على أربعة محاور:

1–اللسانيات الجغرافية والمصطلح.

2– البيئة اللسانية واللغة في القرآن الكريم.

3– الشعر ودوره في فتح مغالق الكلمات القرآنية.

4– اللسانيات الجغرافية وأثرها في توجيه دلالة الكلمات القرآنية.

أولا: اللسانيات الجغرافية والمصطلح:

لسانيات جغرافية géographie linguistique جزء من علم اللهجات، وهي دراسة التنوع في استعمال اللغة عند الأشخاص أو المجموعات من أصول جغرافية مختلفة[2] , وقد ترد جغرافية لسانية géolinguistique، وهي الصيغة المختزلة للجغرافية اللسانية [3]أو الجغرافية اللغوية linguistic géography دراسة الفروق المحلية أو الإقليمية الخاصة بلغة ما [4] , وهي التي تحدد اختلافات اللغات وفروقاتها في خرائط جغرافية [5]، وهو علم يراد به معرفة حدود الظواهر اللغوية سواء أكانت ظواهر صوتية أم ظواهر تتعلق باستعمال الألفاظ، وذلك بوضع مصور لغوي (أطلس لغوي) يبين المناطق اللغوية والجزر اللغوية [6].

ولقد نستطيع أن نطلق اسم "اللسانيات الجغرافية" على ذلك التميز الذي يظهر في اللهجات ذات العلاقة مع محليتها الاجتماعية والمكانية في الوقت نفسه [7]، كما يذهب بعضهم إلى تسمية اللسانيات الجغرافية بعلم اللهجات, وقد شاعت هذه التسمية في الدراسات الغربية، حتى إن كثيرين من الغربيين يعدون هذا الفرع من اللسانيات خاصا بدراسة اللهجات– والصحيح كما يذهب إلى ذلك الدكتور سمير شريف استيتية– أن اللسانيات الجغرافية أوسع من علم اللهجات بكثير، بل إن هذا العلم هو أحد فروع اللسانيات الجغرافية.[8]

وقد أوضح فردينان دي سوسيرFerdinand de Saussure (1913م) في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة Cours de linguistique Générale مجالات علم اللسانيات الجغرافية، حيث تناول تنوع اللغات وتعدد التنوع الجغرافي، وتعايش اللغات في بقعة معينة، واللغات الأدبية واللهجات المحلية، واسباب التنوع الجغرافي وتأثير الزمن

كعنصر أساسي فيه، وتحظى اللهجات للحدود الطبيعية، وانتشار الموجات اللغوية، وخصائص هـذا الانتشـار [9]، وإذا تأملنا مجالات علم اللسانيات الجغرافية وجدنا أنه يجمع بين اللسانيات من ناحية والجغرافية من ناحية أخرى.[10]

-اهتمامات اللسانيات الجغرافية:

يهتم علم اللسانيات الجغرافية في المقام الأول بدراسة التوزيع الجغرافي للغات الإنسانية علـى أجـزاء الكـرة الأرضية، وتوضيح ذلك من خلال الأطالس اللغوية التي تحتوي على معلومات مختلفة كتحديد عدد المتكلمين مع بيـان نوعية اللغة بالنسبة لهم، أهي لغتهم أم لغة استعمارية تحولت إلى لغة رسمية كما نرى في الانجليزية في الهند وباكستان ونيجيريا وغانا، والفرنسية في كثير من البلاد الإفريقية ودول المغرب العربي، أم هي لغة ثقافية، أو لغة دينية، وتحديد اللهجات المختلفة التي ترتبط بكل لغة وتوزيعاتها [11].

كما تهتم علم اللسانيات الجغرافية بدراسة انتشار اللغة وانحسارها وأهميتها من الناحية السياسـية والاقتصـادية والتعليمية، ويمثل هذا القدر من المعلومات التي يقدمها علم اللسانيات الجغرافية، أهمية كبيـرة لرجـال الإعـلام فـي تحركاتهم السريعة لمتابعة الأحداث العالمية في مختلف بلاد العالم، كما يمثل أهمية كبيرة أيضـا للمنظمـات المختلفـة والقوات الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة التي تحتاج في أداء مهامها طويلة أو قصيرة الأجل إلى معرفة لغات المناطق التي تتحرك إليها وتتعامل معها [12]، وقد اعتبر ماريو باي هذا العلم حديث الوجود إلى حد ما، وهو الآن يشق طريقـه إلى الأمام نتيجة لاتساع دائرته العملية[13]، وقد جعل من وظيفة علم اللغة الجغرافـي أن يصـف -بطريقـة علميـة وموضوعية- توزيع اللغات في مناطق العالم المختلفة ليوضح أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإستراتيجية والثقافية، وأن يدرس طرق التفاعل اللغات بعضها مع بعض، وكيفية تأثير العامل اللغوي على تطور الثقافـة والفكـر الوطنيين [14]، فاللسانيات الجغرافية هي في أبسط غاياتها الاشتغال بالبحث في اختلاف اللهجات داخل لغة واحدة كبيرة (وقد يحدث ذلك كما يلاحظ ديكرو دون وعي من المستعملين) وغالبا ما ينصرف إلى الاختلاف في نطق حرف واحـد من اللغة لأسباب تعود أساسا إلى طبيعة البيئة ووعورتها وسهولتها، أو إلى اقتراب بعض مستعملي اللغة مـن حـدود بعينها كفتح نون (نستسعين), لدى قريش وكسرها لدى أسد وغيرهم، وكقلب بعض الحروف لتقاربها في إقامة بعضـها مقام بعضها الآخر، كقول أهل الحجاز :"هإنك" وهم إنما يريدون " أنك" ؟ في حالة استفهام، وقلب الألف هاء في لغـة العرب كثير" أراق" = هراق، وكقلب الكاف شينا في كشكشة تميم [15]، وكان علماء اللغة العرب الأقـدمون يتنـاولون اللسانيات الجغرافيا تحت مصطلحات متعددة مثل ما كان يطلق عليه، ابن جني (392ه) " تداخل اللغات" وهو كثير حتى أن الاختلاف بين لفظين في النطق كثيرا ما يفضي إلى إنشاء لفظ ثالث, فقد قيل أن رجلين اختلفا فقال أحدهما " الصقر" وقال الآخر بل هو " السقر" فلما احتكما لرجل ثالث قال: أنا لا أقول أيا مما تقولون، وإنما أقول الزقر[16] , وإذا كـان العرب القدماء لم يربطوا القبائل بالجغرافيا صراحة، فإنهم بتحديدهم اسم القبائل يكونون قد عمدوا إلى ذكرها ضمنا، إذا كان لكل قبيلة موطنها الخاص بها ضمن الموطن الكبير الذي كان الجزيرة العربيـة... وإلا فـإن تعريـف مفهـوم " اللسانيات الجغرافية" ليس إلا تجسيد اللهجات في علاقتها بمحليتها التي هي اجتماعية وحيزية في الوقت ذاته"[17]

وإذا أردنا أن نكون واقعيين- كما يقول عبد الجليل مرتاض- فإن توثيق اللغة العربية، ولهجاتها وآثارها الأدبية قبل جمعها وتدوينها كان قائما على أوصاف مركزية وتموقعات جغرافية واضحة, حتى انه لتخيل إلينا أننا لا نجد أنفسنا مبالغين، إذا ذهبنا إلى القول بأن العرب قد أدركوا بشكل أو بأخر ، وبصورة أقرب إلى الوعي منها إلى الوهم البعـدين اللذين يقوم عليهما علم اللهجات واللسانيات الجغرافية، اللذان لم يريا النور عند الغربيين علـى نحـو أسـس علميـة وأكاديمية إلا مع بداية المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر[18]، وإذا أخذنا الشارة الغابرة أعلاه بعين الاعتبار فإننـا

سنجد أنفسنا مضطرين مرة أخرى إلى القول بأن أول علم منهجي ولساني عرفه العرب هو اللسانيات الجغرافية أولا، وعلم اللهجات ثانيا، ذلك أن ما لفت انتباههم من تكلمات محلية على مستوى جبال وأودية، وقرى وأرياف شبه الجزيرة العربية بكاملها، منذ العصر الجاهلي، ومع مطلع العصر الإسلامي هو الذي تولد عنه علم اللهجات[19].

لم تكن دراسة التنوع اللغوي من موضوعات الدرس اللساني في القرن الثامن عشر، فقد كان اللسانيون لا يعترفون إلا باللسان الفصيح ويرون في أي تنوع لهجي من تنوعاته انحرافا عن سوائه ينبغي التجافي عنه والبراءة منه، وظل هذا المعيار الصوابي الصارم حاكما على قضية اللهجات حتى تراكمت التحولات المعرفية والفكرية والمنهجية التي عاشها الفكر اللساني في أوروبا فبلغت ذروتها على مدى قرنين من الزمان وكانت ذروة هذه التحولات انبثاق فكرة الجغرافية اللغوية [20] أو ما يعرف باللسانيات الجغرافية.

ثانيا: البيئة اللسانية ولغة القرآن الكريم:

إن التحليل الدلالي أو ما يعرف ب السيمانتيك sémantique، يراعي ظروف الموقف الكلامي الحي وملابساته، وما يرتبط بذلك من أحوال المتكلمين والسامعين كالحركات الجسمية والإشارات، والغمز، والابتسام، ومن الصعب الوقوف على مثل هذا لأن اللهجات التي نقوم بدراستها انقطع دورانها على الألسن [21]، ومن ثمة ليس عجبا أن نجد غير واحد من المفسرين المتقدمين يعتمدون في تفسير وفهم ما غمض عليهم في التنزيل من كلمات على العامل الجغرافي المحض , لأنه كان مخرجهم الوحيد في فهم ما لم يرد في القرآن من لهجاتهم المعتادة، من ذلك ما يروى عن ابن عباس أنه قال: كنت لا أدري ما الفتاح حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لخصم لها: هلم فاتحني، أي حاكمني، فعلمت أن الحاكم الفتاح، وكنت لا أدري ما (فاطر السموات) حتى سمعت إعرابيا ينازع في بئر فقال: أنا فطرتها، يريد، أنشأتها[22].

فاللغة باعتبارها سلوكا اجتماعيا فهي ترتبط حتما بالمجتمع وشرائحه الاجتماعية المختلفة، فاللغة كما يقول ابن جني" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم [23] فهي وسيلة من وسائل التعبير ونقل الأفكار في إطار البيئة اللغوية وفي مجتمع معين ولهذا "فإن للمفردات وظيفة الحفاظ على الفوارق بين الطوائف الاجتماعية[24] وللبيئة اللغوية أثر كبير وفاعل في تحديد وجهة كل قارئ (أقصد قراء القرآن) إذ أن اللسان المرتبط بتلك البيئة أ كانت قبيلة أو بيئة اجتماعية معينة ذات مستوى علم ما ...، واتضح أن للبيئة الاجتماعية الأثر الأكبر في تحديد وجهة كل قارئ، اذن أن اللسان المرتبط بتلك البيئة بشقيها الطبيعي والاجتماعي، ينطلق معبرا عما يحيط به من تلك الظواهر البيئية التي تنعكس حتما على تفكير الناطق ومشاعره، وأن الأساس الاجتماعي في دراسة اللغة وفي دراسة السلوك اللغوي للشخص أساس على جانب كبير من الأهمية، فاللغة الإنسانية في نشأتها من صنع المجتمع، وفي المجتمع يكون استعمال اللغة، وتعلمها، وتطورها، كما أن تأثيرها كائن فيه، [25]، وبما أن اللغة كائن متغير خاضع لنواميس التطور، فإن علماء اللسانيات التاريخية، أولو اهتماما كبيرا باتجاهات التغير وأسبابه، وبهذا ظهرت عدة نظريات تفسيرية نذكر منها " النظرية الجغرافية.– والتي نحن بصدد الحديث عنها– رأت طائفة من اللسانيين أن العوامل الجغرافية تؤثر تأثيرا شديدا على تغير أصوات اللغة، وحسب دعاة هذه النظرية، فإن سكان الجبال تختلف أصواتهم عن سكان السهول، إذ أن الفئة الأولى يغلب عليها طابع الشدة والغلظة في كلامها، في حين أن الفئة الثانية، تمتاز أصواتها بالليونة والرخاوة (26)، ومثل ذلك تعليق الدكتور إبراهيم أنيس على قراءة كلمتي "اسوة" و " قدوة"، ففي مثل كلمة " أسوة" في قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة" حسنة) الأحزاب 21، التي تنطق بضم الهمزة وكسرها، وبما قرئ في القرآن، ومثلها كلمة قدوة بضم القاف وكسرها، وهما روايتان ذكرتهما المعاجم العربية، يقول " ابراهيم أنيس" مالت القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس

اللين الخلفي المسمى بالضمة لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية, فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم (27) إننا نؤمن اليوم بأن العلاقة قائمة بين اللسانيات وبين بيئتها الجغرافية والحرفية، وكثير من خصائص الأقاليم تنطبع في لغة قاطنيها، بسبب اختلاف المنطقة واختلاف السكن والنزوح والاستقرار واللسان يظل خاضعا للحياة في تطورها الذي لا ينتهي إلى حد (28)، وعلى ذلك فإن من فوائد تحديد مواقع القبائل العربية تحديدا دقيقا، أنه يمكن في ضوئه دراسة أثر البيئة في اللهجة، ودراسة أثر تجاور القبائل العربية كما يمكن التأكد من صحة رأي اللغويين القدماء في الأخذ عن بعض القبائل دون بعضها الآخر حينما قعدوا للغة العربية المشتركة، علاوة على وصول الدرس اللهجي إلى غايته القصوى، بتصنيف اللهجات العربية القديمة إلى بيئات لغوية واضحة المعالم يؤخذ فيها بأثر المكان والزمان، والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والدينية في تميز تلك البيئات (29)

ثالثا: الشعر ودوره في فتح مغالق الكلمات القرآنية:

إن الشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله جل ثناؤه، وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وحديث صحابته والتابعين (30)، ولا يخفى على المتذوقين للشعر العربي القديم وصف الشاعر العربي في تلك المدة من الزمن لمظاهر البيئة الجغرافية المحيطة به، لذلك نستطيع إذا ما تصفحنا دواوين شعرهم أن نجد أسماء كثيرة لأماكن عديدة دوات دلالات جغرافية واضحة المعنى في الإشارة إلى ما يريد الشاعر أن يقوله عنها، سواء كانت هذه الإشارة تخص مدينة أو جبلا أو واديا أو نهرا ... الخ من أشكال المواضع والمواقع والمظاهر الجغرافية ...وبالتالي فإن الشعر العربي أصبح وثيقة مهمة حفظت الكثير من الإرث الحضاري والعلمي العربي(31).

وعرف عن عبد الله بن عباس (68هـ) أنه كان يعتمد على الشعر القديم في تفسير عربية القرآن، وقد أثر عنه قوله " إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا إلى الشعر فإنه ديوان العرب،وكان يسأل عن القران فينشد الشعر (32) ويروى أن نافع ابن الأزرق (65ه) كان يأتي ابن عباس ويسأله عن أشياء من القرآن الكريم ويطلب منه مصداقه من كلام العرب حتى بلغت تلك الأسئلة حوالي مائتين وخمسين سؤالا، وقد أجاب عنها ابن عباس مؤيدا ما يذهب إليه بأشعار العرب (33) ومن ذلك تفسيره قوله تعالى (فإذاهم بالساهرة) النازعات 14.

قال: بالأرض، ألم تسمع قول آمية بن أبي الصلت الثقفي:

فذاك جزاء ما عملوا قديما وكل بعد ذلكم يدوم

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم (34)

قال (يعني نافع بن الأزرق) اخبرني عن قوله تعالى (أفلم ييأس الذين آمنوا) الرعد 31

قال: أفلم يعلم بلغة بني مالك، قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم ،ما سمعت مالك بن عوف يقول:

لقد يئس الأقوام أني أنا ابنه وان كنت عن أرض العشيرة نائيا (35).

قال أخبرني عن قوله تعالى (وأنتم سامدون) النجم 61

قال" السمود: اللهو والباطل، وقال: وهل تعرف العرب ذلك؟، قال: نعم، أما سمعت قول هذيلة بنت بكر وهي تبكي قوم عاد:

ليت عادا قبلوا الحقق ولم يبدوا جحودا

قيل قم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا (36)

قال: فأخبرني عن قوله تعال (أن لن يحور) الانشقاق 14.

قال: أن لن يرجع بلغة الحبشة، قال وهل تعرف العرب ذلك، قال نعم أما سمعت قول الشاعر (لبيد بن ربيعة العامري):

ولا المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع (37) ،

قال : أخبرني عن قوله تعالى (حوبا) النساء2

قال: إنما بلغة الحبشة، قال وهل تعرف العرب ذلك، قال نعم، أما سمعت قول الأعشى:

فإني وما كلفتموني من أمركم ليعلم من أمسى أعق وأحوبا (38)

قال أخبرني عن قوله تعالى (أن يفتنكم الذين كفرو) النساء 101

قال: يضلكم بالعذاب والجهد بلغة هوازن، أما سمعت قول الشاعر:

كل امرئ من عباد الله مضطهد ببطن مكة مقهور ومفتون (39)

قال: أخبرني عن قوله تعالى (فنقبوا في البلاد) سورة ق 36

قال: هربوا بلغة اليمن، أما سمعت قول عدي بن زيد:

فنقبوا في البلاد من حذر المو ت وجالوا في الأرض أي مجال (40)

وهكذا يمضي نافع بن الأزرق وابن عباس يجيب شارحا كلمات القرآن الغريبة بالشعر الجاهلي.

ولم يكن ابن عباس بدعا بين الصحابة في تلمس معاني القرآن من الشعر، فهذا عمر بن الخطاب يسأل عن معنى قوله تعالى:(أويأخذهم على تخوف) النحل 47، فيتوقف ويجيب شيخ من هذيل: في لغتنا: التخوف: التنقص، وسأله عمر فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها فيجيب الشيخ الهذلي: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقته:

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما عودا النبعة السفن (41)

وبالنظر إلى هذه الاختلافات اللسانية الجغرافية فإننا وجدنا العرب يتبنون في الوقت نفسه أكثر من عنصر لهجي لأكثر من حيز جغرافي من هذا القبيل أن الفعل (أسرى) الموظف كفعل أمر في قوله تعالى (فاسر بأهلك) هود 81، إنما هو لهجة قرشية، لأن سواهم من العرب يستعملون هذا الفعل ثلاثيا ولذا فان القران في موضع أخر استعمل ما عليه باقي العرب، حيث وظف الثلاثي من نفس الفعل كقوله تعالى (والليل إذا يسر) الفجر 4، لأن هذه اللغة الأخيرة من سرى، والشعراء وظفوا العنصرين معا، تارة رباعيا مثل قول لبيد:

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقافا بغير معصر (42)

وتارة ثلاثيا مثل قول الأخطل:

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد صاح الديك وحانت وقعة الساري (43)

أو كمثل قول جرير:

سرت الهموم فبتن غير نيام وأخوا الهموم يروم كل مرام (44)

ونسبة المبرد الرباعي من هذا الفعل (سرى) إلى اللهجة القرشية من باب التخصيص لشهرته والذي يراد به تعميم أوسع، لأن بعض المصادر الأخرى تنسب هذه اللهجة مباشرة إلى منطقة الحجاز بكاملها، ولذا ينبغي أن نكون حذرين في مثل هذه المواقف سواء تعلق الأمر بظاهرة مورفولوجية أو صوتية أم سانتكسية أم دلالية (45).

رابعا: اللسانيات الجغرافية واثرها في توجيه دلالة الكلمات القرانية:

نشأ البحث في دلالة الألفاظ عند العرب في مرحلة مبكرة إبان قيام الحركة العلمية الناشطة حول القران الكريم... حيث استوقف بعضم غموض بعض ألفاظه، فمست الحاجة إلى تفسيره تفسير لغويا يزيل ذلك الغموض، وكثرت الحاجة إلى معرفة المفردات ومعانيها، فزادت عناية العلماء استجابة لتلك الحاجة، فالتفتوا إلى آثارهم الأدبية التي تحمل في طواياها الألفاظ العربية وتراكيبها وطرائقها في التعبير بعدما جمعوها، وراحو يستنبطون منها ما يحتاجونه إليه في فهم كتابهم العزيز (46)، ودراسة البيئة أمر مفيد، لأن لها أهمية عظيمة في توجيه تفكير الإنسان وتطوير لغته، ولأن الإنسان ابن بيئته فيما يعيش، وعليها تنمو لغته وأساليبه في الحياة،(47)، واللغة مرآة صادقة للبيئة التي تعيش فيها، والبيئات متعددة وظواهر الطبيعة تختلف من بيئة إلى بيئة ومن إقليم إلى إقليم (48)، ولعل أول من أثر عنه العمل في هذا الميدان اللغوي، المتصل بألفاظ القرآن الكريم، الصحابي الجليل عبد الله بن عباس (68ه) وفي مقدمة ما وصل إلينا من كتب لغات القرآن كتابه " كتاب اللغات في القرآن" (49) والكتاب يلقي الضوء على لغات القبائل قبل الإسلام، ويحدد نسبة ما أخذ القران من ألفاظ كل قبيلة من هذه القبائل ويبين ما تعني تلك الألفاظ في لغة القبيلة، كما يلقى الضوء على ما وافق لغة العرب من الألفاظ التي قد يكون لفظها من لغة الفرس أو من اللغة الحبشية أو اللغة النبطية أومن اللغة السريانية أو من اللغة القبطية، ومن يقف على عمل ابن عباس في هذا الكتاب يجد أنه يفسر اللفظ القرآني بلغة إحدى القبائل أو لهجتها (50) ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (إن ترك خيرا الوصية) البقرة 180، تعني بالخير المال بلغة جرهم (51) وقوله تعالى (ضيقا حرجا) الأنعام 125، يعني شاكا بلغة قريش (52) وقوله تعالى (وتولى بركنه) الذاريات 39، يعني برهطه بلغة كنانة (53) وقوله تعالى : (وفي يوم ذي مسغبة) البلد 14

يعني ذي مجاعة بلغة هذيل (54)

وكان ابن عباس يفسر (سامدون) في قوله تعالى (وأنتم سامدون) النجم 61 بأنه الغناء بلغة أهل اليمن (55)

وأخرج عن الضحاك في قوله تعالى (ولو القى معاذيره) القيامة 15

قال : ستوره بلغة أهل اليمن (56)

ويروى عن الحسن البصري أنه قال: كنا لا ندري ما الأرائك, حتى لقينا رجلا من أهل اليمن , فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها سرير (57)

كما لوحظ أن بعض أجزاء الجزيرة العربية كان مستودعا لنشر لهجات من نوع خاص, ويظهر ذلك في كثرة ما جاء عن أهل المدينة والطائف من مفردات لهجية وافرة اختصت بها النخل والكرم, وعللت هذا باشتهار هاذين المكانين بهاذين النوعين, ولهذا رأينا صورة النخلة على عملتهم النقدية (58) كما سجل القران ذلك في قوله تعالى (ماقطعتم من لينة أو تركتموها) الحشر 5,وهي النخلة بلغة الأوس (59)

وقال تعالى(وأنزلنا عليكم المن والسلوى) البقرة 57

السلوى:العسل بلغة كنانة (60)

وقال تعالى(وإذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ....) البقرة 61

الفوم :الحنطة بلسان بني هاشم (61)

وفي البحر المحيط أن الفوم : السنبلة بلغة أسد (62)

وقد اختلف العلماء في اشتمال القران الكريم على كلمات أعجمية, فثار حولها الخلاف واحتدم في مجالها الجدل, فمنهم من يؤيد ذلك ومنهم من يرفض, فوقف ابو عبيد القاسم بن سلام (224ه) موفقا بين الرأيين, قائلا: والصواب من ذلك عندي –والله أعلم– مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أن هذه الحروف وأصولها عجمية–كما قال الفقهاء – إلا

أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها, وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية, ثم نزل القـران,وقـد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب, فمن قال أنها عربية فهو صادق ومن قال عجمية فهو صادق(63) وأما مجموعـة الألفاظ القرانية ذات أصول أعجمية فعددها يختلف من عالم إلى أخر: إبريق, إبليس, إنجيل, تنور, جهنم, دينار, درهـم, ربانيون, زنجبيل, سندس, سجيل, سقر, سرادق, غساق, فردوس, قسطاس, قنطار, الطور, الرقيم...الخ (64)

من هذه الكلمات ما ورد بلسان الحبشة منها (غيض الماء) هود 44 نقص بلغة الحبشة (65)، (إن ناشئة الليـل) المزمل 6، قال: بلسان الحبشة، إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ (66) (يا جبال أوبي معه) سبأ 10 قال: سبحي بلسان الحبشة (67)، وقال الزركشي في البرهان: المشكاة: الكوة بلسان الحبشة (68) وغيرها...

ومنها ما ورد بلسان الفرس: سجيل، طين، وافقت لغة الفرس (69) والأباريق، والتنور، والدينار ، السـرادق، والاستبرق، والزنجبيل (70) ومنها ما ورد بلسان الرومان: الرقيم: الكتاب بلغة الروم (71)، اللوح، القسطاس ، طفقـا (72).

ومنها ما ورد باللسان القبطي (متكأ): الأترج: بلغة توافق القبط(73) الملة الآخرة: الأولى، بطائنها: ظواهرهـا، وراءهم ملك: أمامهم, اليم: البحر (74).

ومنها ما ورد باللسان العبري (هدنا إليك) الأعراف 156، تبنا، وافقت لغة العبرانية (75)، (كيل بعير) يوسـف 65، الحمار، درست: قرأت، هدنا: تبنا، راعنا: كلمة سب، الرحمن: ذهب المبرد وثعلب إلى انه عبراني وأصلة الخاء المعجمة (76)

ومنها ما ورد بالسريانية: الطور: الجبل، وافقت فيه لغة العرب لغة السريانية (77) ومنها مـا ورد بالنبطيـة: اصرى: عهدي، وافقت لغة البطية (78). رهوا: سهلا، سيدها، زوجها بلسان النبط (79) ومنهـا مـا ورد بالزنجيـة، حصب جهنم:حطب جهنم وقوله حطة: صوابا (80) كما أن هناك كلمات مختلف في نسبتها منها، السجل: قيل: حبشي، وفي المحتسب لابن جني: فارسي معرب، السندس: قيل رقيق الديباج بالفارسية، وقيل: الرقيق من الستر بالهندية (81).

صفوة القول:

- تتضح من هذا البحث الموسوم باللسانيات الجغرافية وأثرها قي توجيه دلالة الكلمات القرآنية، أن اللسانيات الجغرافية كمصطلح فرعي للسانيات التطبيقية، حديثة العهد، ولكن بذورها تجذر في الموروث العربي، حيث تفطنوا في وقـت مبكر إلى اللغات واللهجات بشكل كبير، فكانت دراساتهم التطبيقية تتمركز حول الدراسات القرآنية، وغريب القرآن، ومفرداته ومعانيه انطلاقا من البيئة اللسانية والمجتمعات البدائية والمتحضرة على حد سواء.

- إن علماءنا الأوائل كانوا على وعي تام بتواصلية اللغة ولا أدل على ذلك من احتفائهم باللهجات أو لغـات القبائـل، وأخذ اللغة من وسط اجتماعي حي في بيئة تحيا فيها اللغة بين أفراد المجتمع.

- كما يهتم علم اللسانيات الجغرافية بدراسة التوزيع الجغرافي للغات الإنسانية وتوضيح ذلك من خلال الأطالس اللغوية وتحديد اللهجات المختلفة التي ترتبط بكل لغة وتوزيعاتها.

- وجدنا غير واحد من المفسرين المتقدمين يعتمدون في تفسير وفهم ما غمض عليهم في التنزيل من كلمات على العامل الجغرافي، لأنه كان مخرجهم الوحيد في فهم ما لم يرد في القرآن من لهجاتهم المعتادة.

- إن الشعر ديوان العرب، وهو حجة فيما، أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث صحابته والتابعين، من ذلك ما عرف عن ابن عباس ومسائل ابن الأزرق الذي كان يعتمد على الشعر في تفسير عربية القرآن.

- إن دراسة البيئة اللسانية لها أهمية عظيمة في توجيه تفكير الإنسان وتطوير لغته، ولأن الإنسان ابن بيئته فيما يعيش وعليها تنمو لغته وأساليبه في الحياة.

- لعل أول من اثر عنه في الميدان اللغوي المتصل بألفاظ القرآن الكريم الصحابي الجليل عبد الله بن عباس في كتابه (كتاب اللغات في القرآن) والذي يلقي الضوء على لغات القبائل قبل الإسلام، ويحدد نسبة ما أخذ القرآن من ألفاظ كل قبيلة من هذه القبائل، كما يلقي الضوء على ما وافق لغة العرب من الألفاظ التي قد يكون لفظها من لغات أخرى.

- لعل من أسباب نشأة البحث في دلالة الألفاظ عند العرب وبخاصة الكلمات القرآنية غموض بعض ألفاظه، فمست الحاجة إلى تفسيرها تفسرا لغويا يزيل ذلك الغموض.

- يلاحظ تأثير اللسانيات الجغرافية في توجيه دلالة الكلمات القرآنية انطلاقا من البيئة اللسانية والاجتماعية.

الإحالات:

1-انظر: العربية وعلم اللغة الحديث .د. محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 2001 ص 90.

2-المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات -انجليزي-فرنسي-عربي-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الدار البيضاء 2002 ص 62.

3-المصدر نفسه ص 62.

4-انظر المورد الحديث، قاموس انجليزي عربي، منير البعلبكي، و:د.رمزي منير البعلبكي ص 669. وانظر: unified Dictionnary of liguistics terms Englich french .Arabice 1989 P :57

5-معجم المصطلحات الألسنية فرنسي انجليزي، عربي. الدكتور مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1995 ص 120.

6-مجمع اللغة العربية، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية 94/4، نقلا عن المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية. معجم عربي أعجمي، وأعجمي عربي، محمد رشاد الحمزاوي ص35

7-انظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان اوزالد ديكرو، جان ماري سشايفر ترجمة د، منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب الطبعة الثانية، 2007 ص 127.

8-اللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج، الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي عمان الاردن، الطبعة الثانية 2008م. ص 617.

9- انظر فحوى الكلام في دروس: في الألسنية العامة فردينان ديسوسير تعريب صالح القرمادي محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب 1985.من ص 285،إلى ص 315.
cours de linguistique générale ;Ferdinand de Saussure édition talantikit .Bejaïa 2002 p 227-251

10–ينظر: علم الاجتماع اللغوي، عبد الفتاح عفيف دار الفكر العربي القاهرة وأسس علم اللغة، ماريو باي ترجمة وتعليق احمد مختار عمر، ط الثالثة 1983م عالم الكتب القاهرة ص 183، وعلم اللغة الاجتماعي هدسون، ترجمة محمود عياد، عالم الكتب القاهرة ،ط الثانية 1990 ص 66 وما بعدها.

وانظر مجلة التراث العربي، العدد 104 كانون الأول 2006م، السنة السادسة والعشرون اتحاد الكتاب العرب دمشق ص 189.

11–معجم اللسانيات الحديثة انجليزي عربي، د سامي عياد حنا وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون 1997، ص 54.

12– المصدر نفسه ص 54.

13–أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر ص 36– 37.

14–المصدر نفسه ص 37.

15–انظر مقال: اللسانيات الجغرافية ونظرة العرب إليها. عبد المالك مرتاض. نشر في جريدة الرياض يوم 2005/05/26.

16–المصدر نفسه

17–قول ديكرو / نقلا عن المصدر نفسه.

18–انظر: اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي عبد الجليل مرتاض دار هومة الجزائر 2013 ص 47.

19–المصدر نفسه ص 47.

20–ينظر مقال: من الجغرافية اللغوية إلى الجغرافية الأسلوبية، د. يسعد مصلوح ص 13، مجلة عالم الفكر مج 22 ع 3–4/ يونيو 1994م.

21–اللهجات العربية في التراث في النظامين الصوتي والصرفي القسم الأول، أحمد علم الدين الجندي ص 14، الدار العربية للكتب 1983 م.

22–انظر: اللسانيات الجغرافية عبد الجليل مرتاض ص 49

23–الخصائص، ابن جني 33/1.

24–ينظر: علم اللغة الاجتماعي، د. هدسن ترجمة محمود عبد الغني عياد، ومراجعة عبد الأمير الأعسم دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1987 ص 87.

وانظر مقال: الدلالة الاجتماعية في القراءات القرآنية الدكتور إسماعيل عباس حسين مجلة كلية الآداب قسم اللغة العربية الجامعة المستنصرية العدد 84.ن

25–اللغة والمجتمع ،رأي و منهج ، د محمود السعران ص 29. وانظر مقال الدلالة الاجتماعية في القراءات القرانية، د. اسماعيل عباس حسين. السابق ذكره

26– اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن ص 79 و ص 84.

27–في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس الطبعة السادسة مكتبة الأنجلو المصرية 1984 ص 91.

28– انظر: مقال الاسس النظرية والمنهجية لأطلس لسان المجتمع العربي الأستاذ إبراهيم محمد الخطابي. معهد الدراسات والأبحاث للتعريب: الرباط www.startimes.com/f.aspic.

29 –انظر: موقع مجمع اللغة العربية الأردني: مقال تحديد مواقع القبائل العربية ولهجاتها في خرائط الدراسات اللغوية وأثره في الدرس اللهجي، د, جمعان بن عبد الكريمwww.majma.org.jo/majma/index.php/2009

30–انظر: الصاحبي في فقه اللغة ابن فارس ص 136.

31–فحوى الموضوع: المعرفة الجغرافية وتطورها عند العرب المسلمين ومساهماتهم العلمية في الفكر الجغرافي العربي، د. سعدون شلال جامعة الكوفة، كلية القائد للتربية للبنات قسم الجغرافية 2002م.

32–انظر: مقال: بذور الدراسة الدلالية لألفاظ القران الكريم.د. سعد الكردي، مجلة التراث العربي العدد 66 كانون الثاني يناير 1997 م السنة 17 ص 24.

33– المصدر نفسه ص 25، وقد جمعت تلك الأسئلة وأجوبتها في كتاب مستقل بعنوان سؤلات نافع بن الازرق إلى عبد الله بن عباس، نشره الدكتور إبراهيم السامرائي ببغداد سنة 1968م.

34– ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، ط3، دمشق، 1977م، ص475.
35–نسب أيضا إلى رياح من عدي، أنظر القرطبي 320/9، وأبو حيان 392/5 والإتقان 159/1.
36–أبو حيان، البحر المحيط 155/8 ، حيث استشهد بالبيت الثاني، والإتقان 161/1.
37–وفي رواية: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع/ ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس ، نشر وزارة الإعلام الكويت، 1984م، ص169 ، وأنظر الاتقان 163/1.
38–ديوان الأعشى، ص22، والاتقان 169/1.
39–عبد الله بن الحارث، من شعر الهجرة الحبشية عن السيرة النبوية، 351/1.
الأنترنيت: www.al-emen.com وأنظر الإتقان 169/1
40–نقلا عن الإتقان 171/1.
41–التامك: السنام، والقرد: الذي تلبد وبره أو تساقط، والسفن: الحديدة التي تبرد بها القسي، أنظر: لغة القرآن الكريم، دراسة توثيقية فنية أحمد مختار عمر ، ص104.
42–ديوان لبيد، السابق، وأنظر: اللسانيات الجغرافية، عبد الجليل مرتاض، ص70.
43–الأخطل من قصيدة: تغير الرسم من سلمى بأحفار، وأنظر اللسانيات الجغرافية السابق، ص71.
44–الموسوعة العالمية للشعر العربيwww.adab.com/moudules.php
45–أنظر اللسانيات الجغرافية، عبد الجليل مرتاض، ص71.
46–أنظر: مقال: بذور الدراسة الدلالية لألفاظ القرآن الكريم، د. سعد الكردي، ص16.
47–أنظر: التعابير القرآنية في مشهد يوم القيامة، دراسة دلالية جمالية
أ.د.ابتسام مرهون الصفار ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط2012/1م، ص10 من المقدمة.
48–اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، د.عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، ط1995/1م، ص29.
49–كتاب اللغات في القرآن، رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، ط الثالثة، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1978م.
50–أنظر بذور الدراسات الدلالية لألفاظ القرآن الكريم، د. سعد الكردي، ص21.
51–كتاب اللغات في القرآن، ابن عباس رواية ابن حسنون، ص18.
52–نفسه، ص24. 53–نفسه، ص44. 54–نفسه، ص52.
55–معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق على محمد البجاوي، دار الفكر العربي، 199/1.
56–نفسه، 199/1.
57–أنظر: الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس ، ص58.
58–تاريخ العرب، جواد علي، الطبعة الثانية، 1993، 158/8.
وأنظر: اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، 178/1–179.
59–كتاب اللغات في القرآن، ابن عباس ، ص46.
60–البحر المحيط، أبو حيان 205/1، وانظر اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، 212/1.
61–جامع البيان للطبري، 247/1 نقلا عن اللهجات العربية في التراث. السابق،213/1.
62–البحر المحيط، 219/1 وأنظر اللهجات العربية في التراث. السابق، 213/1.
63–أنظر الصاحبي في فقه اللغة، السابق ، ص16.
64–أنظر: كتاب اللغات ، ابن عباس ، والمعرب للجواليقي وشفاء الغليل فيما في كلام العرب بن الدخيل للخفاجي، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ولغة القرآن دراسة توثيقية فنية، د.أحمد مختار عمر، ص116–117، ولغات القبائل الواردة في القران الكريم أبوعبيد القاسم بن سلام، تحقيق الدكتور عبد الحليم السيد طلب، مطبوعات ذات السلاسل ، الكويت، 1984م، ص48 وما بعدها.

65–لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، أبو عبيد القاسم بن سلام، ص153.
66–اللغة في رحاب القرآن الكريم، عبد العال سالم مكرم، ص103. 67–المصدر نفسه، ص103.
68–البرهان، الزركشي، 287/1–288. 69–أنظر: لغات القبائل أبو عبيد القاسم بن سلام، ص139.
70–أنظر: اللغة في رحاب القرآن الكريم، عبد العال سالم مكرم، ص104.
71–لغة القرآن ، أحمد مختار عمر، ص116.
72–اللغة في رحاب القرآن، السابق ،ص104.
73–لغة القرآن ، أحمد مختار عمر، ص116.
74–اللغة في رحاب القرآن ، السابق، ص104.
75–لغت القبائل ، أوعبيد القاسم بن سلام، ص105.
76–اللغة في رحاب القرآن ، السابق، ص104.
77–لغات القبائل، السابق، ص48.
78–نفسه، ص69.
79–اللغة العربية في رحاب القرآن، السابق، ص105.
80–المصدر نفسه، ص105.
81–اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، عبد العال سالم مكرم، ص105. وانظر: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي. وجامع القرآن للطبري 6/1، الإتقان للسيوطي 138/1 والبرهان للزركشي، 287/1–288.